محاضرة عن الفيلسوف الإيطالي مكيافيلي (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧)

فلسفة مكيافيلي السياسية.

كلية التربية ـ الفرقة الأولى ـ قسم الفلسفة والاجتماع

مقدمة.

من هو مكيافيلي؟

ولد في فلورنسا وينحدر من عائلة قديمة في هذه المدينة الإيطالية، وقد شغل أول منصب سياسي له في عام ١٤٩٤، حيث شغل وظيفة "سكرتير" (لجنة العشرة من أجل الحرية والسلام)، وهي شكل من أشكال وزارة الداخلية والحرب. خلال أربعة عشر عاما قضاها في خدمة الجمهورية تم تكليفه بالعديد من المهام الدبلوماسية في فرنسا وروما، كما اشتغل في المسائل العسكرية حيث حصل من حكومة فلورنسا على قرار بإنشاء جيش وطني دائم. شغل مكيافيلي ثلاث مرت مناصب رسمية هامة، في عام ١٥٢٠، ١٥٢١ و ١٥٢٥.

ما أهم مؤلفاته في الفلسفة السياسية؟

١. كتاب "الأمير". وهو الأكثر شهرة، ولكنه ليس الأكثر أهمية من بين أعماله. كتبه بين عامي ١٥١٣ و ١٥١٤.

٢. "المطارحات"، وقد كتبه بين عامي ١٥١٣.١٥١٩. وهو الكتاب النظري الأساسي عند مكيافيلي.

٣ . "تاريخ فلورنسا" (Storie Fiorentine) كتب بين ١٥٢٠ و ١٥٢٦. يتحدث الكتاب عن الفترة من ١٢٥١ إلى ١٤٩٢. ويتحدث فيه عن الأحداث التي حصلت منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب.

٤. كتب مكيافيلي أيضا وبين عامي ١٥١٣ و ١٥٢٠ كتابا في غاية الأهمية عن "فن الحرب".

أولا: منهج مكيافيلي في الفلسفة السياسية (الواقعية)

بسبب منهجه "الواقعي" اعتبر مكيافيلي من قبل العديد من الكتاب المعاصرين كأب "لعلم السياسة". وربما يكون هذا التصنيف له

ناتج عن أن مكيافيلي كان أول من فصل الأشياء السياسية عن جميع الأشياء الأخرى، الدين،الأخلاق و الاجتماع.

ثانيا: ما فلسفته حول الطبيعة الإنسانية؟

تستند أفكاره في الكثير منها على التشاؤم، وهي رؤية ربما ارتبطت بعد الاستقرار و حالة انعدام الأمن ثم العنف الذي عرفته إيطاليا في زمنه. يعتقد مكيافيلي أن البشر هم هكذا بطبيعتهم في كل زمان ومكان وهذا شيء من المستحيل تغييره أو إصلاحه:" منافقون، جشعون وشرهون للحصول على الربح".

المكيافيلية

عندما لا يحدث أي وهم فيما يتعلق بالطبيعة الإنسانية فإن رجل الدولة سيستطيع الحفاظ على الحد الأدنى من النظام الاجتماعي، هكذا يرى مكيافيلي. وبما أنه لا يوجد في المجتمع سوى القوة،المصالح و الأنانية، وليس هناك قيم للعدالة والأخلاق تسمح بإبقاء القيم في حالة تناغم مع المصالح، فإن المشكلة التي على رجل الدولة حلها هي الحفاظ وبشكل مصطنع على التوازن بهدف وضع حدود لتبادل

المصالح.وكل فكرة تهدف لإقامة "العدالة" تركها مكيافيلي أو في أحسن الأحوال تجاهلها.

ويبدو أن مكيافيلي في فكره السياسي يفضل ما يدعوه المعاصرون "بالبرجماتية". حيث أنه لا يوجد مبادئ أخلاقية أو قانونية يمكن فرضها بشكل دائم، فإن القيادة لشؤون الحكم عليها أن تسترشد باعتبارات عملية خالصة، وبقدر تغير الظروف فإن قرارات الحكم يمكنها أن تتغير.

المعيار القاطع، في السياسة، ليس أن تكون جيدا أو شريرا، وليس أيضا أن تكون ضعيفا أو قويا، ولكن سعيدا أو كئيبا في هذه السياسة. وهنا يؤكد مكيافيلي على أن الغاية تبرر الوسيلة، فليس المهم ما يفعله رجل الدولة في مراحل اتخاذ القرار بل المهم هو نتيجة هذا القرار. إن كل أفكار مكيافيلي تتمركز ضمن هذا المنطق أو النظام. ولكنها تختلف وفق ما يمكن أن نسميه أو نعتبره بالسياسة الداخلية أو بالسياسة الخارجية.

ثالثا: السياسة الداخلية.

يفضل بالنسبة للحاكم أن تخافه الناس لا أن تحبه. شيء مثالي أن يكون محبوبا، ولكن، إذا من الواجب الاختيار بين الوسيلتين، الأفضلية يجب أن تعطى إلى الخوف. وهذا يبرر ويعود إلى الطبيعة العميقة للإنسان. بمعنى آخر، الأمير الواعي أو المتيقظ عليه أن يوجد وفق ما يريد هو، وليس على ما يريد الآخرون، ومن هنا تأتي أفضلية الخوف كأداة في السلطة. واقعية مكيافيلي وتفكيره حول استراتيجيات فعّالة للتوازن بين القوى الاجتماعية تقوده يعلن عن الأطروحة التالية : أحيانا، الحكام، ومن أجل تهدئة الشعب، عليهم ألا يترددوا في تقديم "كبش المحرقة" والذي سيخدم في مخرج من غرائزه العدوانية وبالتالي إيجاد حل لراحتهم ولجميع المواطنين. في الواقع هذه التفكير المكيافيلي حول التضحية بأحد المواطنين من قبل الدول هو ما يمكن أن نسميه "بجريمة الدولة". فهو يعطي الشرعية للحكام بتصفية المعارضة من خلال ارتكاب الجرائم، ومن غير تقديم هؤلاء للعدالة، لذلك ندرس الفكر

السياسي المكيافيلي هنا كجزء تابع لمرحلة الحكم الاستبدادي أو المطلق.

رابعا: نظام الحكم الأمثل عند مكيافيلي (التأرجح بين الملكية ثم الجمهورية).

ساند مكيافيلي و بشكل متزامن في كتابه "الأمير" وكتاب "خطابات"، الأطروحات الملكية و الجمهورية، لدرجة أن العديد من المحللين اعتقدوا أن أطروحاته غير متماسكة. في الواقع مسألة نموذج أو شكل الحكم كان ثانويا بالنسبة له. فقد كان في البداية مدفوعا بمسألة الاستقلال الإيطالي، إذا إنها الدولة كمجسدة للأمة، التي اهتم بها في المقدمة. ولكن بواسطة من هذه ستؤسس ويتم حكمها ؟

في " الأمير" يتحدث مكيافيلي عن الحل الملكي. ولكن في كتاب "خطابات" يظهر وكأنه جمهوريا. في الحالتين، الدولة المكيافيلية عليها وفي جميع الظروف أن تحكم من غير اعتبارات للقوانين أو الأخلاق. فروح الجمهورية الرومانية التي تم تحليلها في كتاب "خطابات" هي نفسها المملكة الفرنسية والإسبانية، أو بمعنى آخر سلطة

سياسية مطلقة. ولكن يمكننا القول أن مكيافيلي اعتقد أن الجمهورية ليست شكلا جيدا للحكم في إيطاليا آنذاك، وهي على كل فكرة كانت سائدة بشكل واسع في ذلك العصر. إذا بالنسبة للدولة يجب أن تكون خاضعة لرجل واحد فقط يظهر قوة لا تعادلها قوة أخرى في الدولة. أما السلطة التنفيذية يجب أن تكون واحدة غير مقسمة لاسيما في أوقات الأزمات.

خامسا: مكيافيلي و القومية.

كان مكيافيلي يشعر بالإهانة بسبب الحالة التي تعيشها بلاده أمام الغزو الفرنسي و الإسباني،التي الدول التي اعتبرها أقل حضارة من إيطاليا وهي في نفس الوقت أقوى منها لأنها استطاعت أن تبني وحدة وطنية. من هنا أراد تحقيق الوحدة الوطنية في إيطاليا. قدم مكيافيلي مفهومه للأمة كشخصية مجردة وهي في نفس الوقت أسمى من الفرد الذي يكونها وأيضا لها طابع دنيوي خالص. هذه الأمة هي شيء آخر غير الفرد فليس من شانها الخضوع لأي أخلاق أو قانون. الفكرة الأهم

عند مكيافيلي فيما يتعلق بالشعور القومي كانت في إنشاء جيش وطني مؤلف من جميع المواطنين وليس من ميلشيات. أيضا وقف مكيافيلي إلى جانب استخدام جميع الوسائل في العمل الدبلوماسي ضد العدو خاصة إذا كنا لا نملك القوة لمحاربته. فالأمة هنا ليست مضطرة لاحترام كل أنواع المعاهدات و الاتفاقيات التي وقعتها من أمة أخرى.

خاتمة.

فيما يتعلق بمكيافيلي ،نستطيع القول أن أفكار مكيافيلي السياسية لاقت إعجابا كبيرا من قبل أنصار الحكم الاستبدادي المطلق في مختلف الدول الأوربية، فالملوك الذين ترددوا في السير خلف شعار "الغاية تبرر الوسيلة"، وجدوا في كتاباته الوسيلة التي حررتهم من هذا التردد. أما في القرن العشرين فحصلت أفكاره على قوة أكبر عند اليمين المتطرف كما عند اليسار المتطرف. وحتى في القرن التاسع عشر لاقت ترحيبا.